

الحلقة الستون (الأخيرة)

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. مرة أخرى نعود إلى موضوع التدخين الذي ينتشر مع الأسف بصورة متزايدة في أوساط الشباب بعالمنا العربي، فتحت عنوان: ربع شباب تونس مدمنون على التدخين.... و ٤٠ في المئة من أساتذتهم يجهلون مضاره، جاء التقرير التالي:

واحد وستون في المئة من المدخنين اليافعين في تونس يعرفون حقيقة الأخطار التي تترتب بصحتهم ومع ذلك يمضون في صحبة السجارة، لا بل ويقبلون عليها بشراهة. هذا ما أظهرته نتائج تحقيق بين الشباب أجراه فريق طبي في مستشفى سيدي مخلوف في محافظة مدنين. ورأى خبراء اجتماعيون أن الدراسة غير بعيدة عن الأوضاع في المحافظات الأخرى في تونس. وكشف التحقيق أن التدخين يرتفع بنسبة خمسة وسبعين في المئة بين الشباب الذين يوجد في أسرهم مدخنون. وتصل النسبة إلى أربعين في المئة حين يكون للشباب صديق مدخن.

وفي سياق متصل أجري تحقيق بين الطلاب في ثلاث ثانويات في محافظة زغوان، حيث أظهر أن خمسة وعشرين في المئة من الطلاب يدخنون. وهذه النسبة مقاربة للمتوسط الوطني. وعزا المدخنون إقبالهم على السجائر إلى كونها تهدئ الأعصاب، أو إلى أنها تمنح المدخن نكهة خاصة. غير أن التحقيق كشف أن ثمانية وتسعين في المئة من المدخنين هم من الذكور، وهذه ليست الحال في المحافظات الأخرى وخصوصاً في العاصمة تونس، حيث يعادل عدد المدخنات عدد المدخنين أو يتجاوزه، وذلك لأن منطقة زغوان منطقة زراعية، وأهلها يميلون إلى المحافظة الاجتماعية.

ومن جهة أخرى أظهر التحقيق أن اثنين وخمسين في المئة من الشباب الذين جربوا التدخين تعلقوا به واستمروا عليه. وأوضح أن السجارة الأولى بالنسبة لـ اثنين وثلاثين في المئة منهم كانت فقط بدافع الفضول. واعتبرت الدكتورة زكية البرتاجي المتخصصة بالطب الرياضي، أن الشباب غير مطلعين في العموم على مخاطر التدخين وهم يستهينون بها حتى لو عرفوا. وأكد التحقيق المذكوران عمق الجهل بالانعكاسات الصحية الحقيقية للتدخين. وأظهر التحقيقان في هذا الصدد أن أربعين في المئة من المدرسين غير ملمين بمضار التدخين، وأن ثلاثين في المئة لا يعرفون أن النرجيلة لا تقل ضرراً عن السجارة، فيما لا يعرف أربعة وأربعون في المئة أن الدخان الذي بيئه المدخن يحمل مواداً سامة.

كشفت التحقيق إذن أن التدخين يرتفع بنسبة خمسة وسبعين في المئة بين الشباب الذين يوجد في أسرهم مدخنون. أي يبدو واضحاً أن المسؤولية تقع في الدرجة الأولى على الأهل، الذين يجب أن يتخلّوا هم أولاً عن التدخين، لكي يحفظوا أولادهم من الوقوع في مثل هذه العادة الضارة. والأمر الهام الذي كشفته هذه التحقيقات أيضاً أن أربعين في المئة من المدرسين، المفروض بهم أن يتفوقوا الجيل الطالع ويرشدوه إلى مخاطر العادات السيئة، غير مُلمّين بمضار التدخين، وأن أربعة وأربعين منهم لا يعرفون أثر الدخان السام الذي يبثه المدخن.

فكيف نتوقع أن ينجح المجتمع التونسي أو أي مجتمع، في التخلص من عادة التدخين الضارة لصحة الجسد، إذا كان الأهل أنفسهم ليسوا مثلاً صالحاً لقيادة أولادهم. وإذا كان المدرسون غير مدركين لمخاطر التدخين. إن الولد اليافع الذي ينجذب بسبب تأثير المجتمع من حوله لكي يدخن أولاً بدافع الفضول، لن يستطيع أن يقع في براثن هذه العادة القبيحة، إذا رأى مثلاً آخر أمامه، وإذا كان هناك من يرشده بشكل صحيح ويبين له المخاطر الجسيمة لعادة التدخين.

قدّم مرة مفلوج إلى المخلص المسيح، وكان حاملو السرير الأربعة بسبب ازدحام الجموع قد أنزلوا المفلوج من السقف بعدما نقبوه. فلما رأى المسيح إيمانهم، قال للمفلوج ثق يا بنيّ. مغفورة لك خطاياك. وإذا قوم من الكتبة أي من رجال الدين اليهود، قالوا في أنفسهم هذا يجذّف. فعلم المسيح أفكارهم فقال: لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم. أيّما أيسر أن يُقال مغفورة لك خطاياك. أم أن يقال قم وامش. ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا. حينئذ قال للمفلوج: قم احمل فراشك واهب إلى بيتك. فقام ومضى إلى بيته. (راجع بشارة متى ٩: ٢-٧)

ماذا نستخلص من هذه الأعجوبة التي قام بها المخلص المسيح؟ وما هي علاقتها بموضوع عادة التدخين الضارة التي نتحدث عنها اليوم؟ إنها تشير وبكل وضوح ليس إلى قدرة المخلص المسيح على غفران الخطايا فحسب، بل إلى قدرته على تحرير الإنسان من أي قيد يكبله. إننا جميعنا كبشر خطاة، ونفعل الشر. ولقد أعطى الله المخلص المسيح عندما كان على الأرض السلطان لكي يغفر الخطايا. وفي نفس الوقت أرسله لكي يقدم نفسه كفارة من أجل خطايانا بموته البديلي على خشبة الصليب. وهكذا صار بمقدور أي إنسان أن ينال غفران الله عن خطاياها.

لكن لكي يستطيع الإنسان أن ينال هبة الغفران من الله، عليه أن يتوب ويؤمن بموت المسيح الكفاري من أجل خطاياها. وعندها لا يغفر الله خطاياها فحسب، بل يعطه القدرة بواسطة الروح القدس لكي يتغلب على كل عاداته الشريرة الفاسدة. إن ما حصل لهذا الإنسان المفلوج المقعد، يحصل اليوم مع كل إنسان يأتي إلى الله مؤمناً بالمخلص المسيح. فيغفر الله أولاً ذنوبه، ثم يحرره ثانياً من عبودية الخطية والعادات الفاسدة. وبتعبير آخر يشفيه من مرض عبودية الخطية، والعادات التي تحكمت به.

فإذا كنت صديقي قد أستعبدت لعادة التدخين الضارة، فإن الله عندما تؤمن بالمخلص المسيح، قادر على إجراء الأعجوبة وتحريك منها وبشكل تام وسريع، وستكتشف قوة الله الهائلة على التغيير. ويهبك الله في نفس الوقت الغفران الكامل عن خطاياك. فهل ترغب مستمعي أن تتحرر من عادة التدخين المضرة؟ وأن تصبح قدوة ومثالاً للآخرين من حولك؟ إن مجتمعك بحاجة إليك لكي تساعد للتححرر من الكثير من العادات الفاسدة. فهل تراك تأتي إلى الله بالتوبة مؤمناً بالمخلص المسيح؟